

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ۗ ثُمَّ
أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ
سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا

الإيمان بالغيب

(006) سورة الأنعام

اللقاء الأول من تفسير سورة الأنعام- شرح الآيات 1-8

2022-10-08

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علما ما نفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يارب العالمين،
وبعد:

سبب تسمية سورة الأنعام:



سميت بسورة الأنعام لذكر الأنعام فيها ٦ مرات

مع اللقاء الأول من لقاءات سورة الأنعام، سورة الأنعام سميت بسورة الأنعام لذكر الأنعام فيها ست مرات، وقدت ضلالات المشركين في الأنعام، والأنعام تؤكل وتُركب، وذلكها
الله لنا، فهي من نعم الله تعالى علينا، والأنعام سورة مكية، والسور المكية غالباً ما تذكّر المؤمن بنعم الله تعالى عليه، والأنعام من نعم الله تعالى على الإنسان، لكن ينبغي أن
يستخدمها وفق تعليمات الخالق، فإكل ما يحل أكله، وترك ما لا يحل أكله، وبذبحها بالطريقة الشرعية، وجعلها خالصة لله تعالى الذي خلقها، فلا تُذبح لغيره.

وسياً ذكر ما يتعلق بالأنعام داخل هذه السورة وما علاقة الأنعام بالسورة بشكل عام.

هي سورة مكية باتفاق، وقد نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة واحدة، ولعلها السورة الوحيدة من الطوال التي نزلت دفعة واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال:

{ نزلت سورة الأنعام جُملةً واجدةً بِمَكَّةَ وحولها سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يحفونها بالتسبيحِ }

(ابن حجر العسقلاني عن عبد الله بن عباس)

يحفونها: يحيطونها بالتسبيح، سبحان الله، لعظم أمر هذه السورة وما فيها من إفرار العقيدة السليمة، وتثبيتها في النفوس، فهي سورة مكية، وكشأن السور المكية الأخرى فإنها تُعنى بالقضية الأولى التي دائماً ما نكرر الحديث عنها وهي تثبيت العقيدة، ما من سورة من السور المكية إلا أساسها تثبيت الإيمان في قلوب الناس، ولكن ما تشابهت سورتان في طريقة، وهذا من الإعجاز، كل السور المكية تدعو إلى هدف واحد، ولكن لا تكاد تتشابه سورتان في الطريقة التي توصل إلى هذا الهدف، الهدف واحد لكن الطرق التي استخدمها القرآن في السور المكية طرق كثيرة توصل إلى تثبيت الإيمان في النفوس وتعزيزه، هي عقيدة **لا إله إلا الله**، تثبيت التوحيد في النفوس.

الدعوة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام:

النبي صلى الله عليه وسلم عندما جاء إلى العرب كان يحمل رسالة، يعني بالعرف الحديث: أفكار، إيديولوجيا، العقيدة، المسمى الشرعي الإيمان الذي ينبغي أن تعتقده وتؤمن به.



النبي الكريم جاء بالتوحيد

كان من الممكن -لكنه لم يحصل- أن تكون الدعوة مثلاً قومية عربية، مثلاً أنتم العرب، نحن القومية العربية، فكان يمكن أن يجيبه إلى ذلك العرب كلهم، مصلح عظيم يحمل فكرة القومية، كلنا عرب وكلنا ينبغي أن يكون لنا شأن بين الدول كفرنس والروم، ويجب أن نبني دولة عظيمة يهابها الجميع، كان اتبعه الجميع: الضعفاء والأقوياء، الزعماء والتابعون، الجميع، فكرة براءة قومية، كان يمكن أن يعلنها قطرية وطنية، قريش أنتم أفصح العرب، أنتم سادة العرب، نحن يجب أن نبني مهابة بين القبائل، ثم بعد ذلك يسرب أفكاره التوحيدية، وكان يمكن أن يلقى قبولا على ذلك، ما أشد من يتعلق بالوطن وبالانتماء، شيء جميل.

كان يمكن أن يعلنها ثورة على الظلم الاجتماعي، تحررية مثل الدعاة الذين يأتون لإيقاف التمييز العنصري بين الناس، كان سيقف ضده 10%، السادة الذين يتمتعون بالسلطات، لكن سيلتف حول كل الضعفاء، كل السود، كل غير المنتفعين سيلتفون حوله، لن يجد معارضا، البعض فقط سيعارضونه.

كان من الممكن أن يعلنها ثورة أخلاقية، جميلة جداً، جنتكم بالأخلاق: صدق وأمانة ومحبة، يبدأ بذلك، العبارات جيدة والإسلام جاء بذلك، لا أقول إنه لم يأت بذلك، لكن كان يمكن أن يعلنها كاملة بهذا الطريق كما هي الدعوات اليوم، اليوم كثير من الناس يقول لك: الدين أخلاق ومعاملة، دعوا الناس وما يشاؤون، يعبدون ما يشاؤون، يذهبون إلى ما يشاؤون يحتفلون كما يشاؤون يفرحون كما يشاؤون المهم أنه يعاملك بالإحسان يا أخي هناك صدق وأمانة، العالم الغربي كله إسلام لكن لا يوجد مسلمون، وعندنا يوجد مسلمون لكن لا يوجد إسلام!! عندنا إسلام لكن لا يوجد مسلمون، من هذه العبارات البراقة في ظاهرها، يقول لك: ماذا أحتاج منك غير خلقك؟ صلاتك شأنك، لا تريد أن تصلي لا تصلي، يا أخي تريد أن تعتقد بوذا اعتقد به، لكن بالنهاية إذا عاملتني فلا تسرقني.

كل هذه الدعوات لم يأت بها في البداية رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء للعرب وقال لهم جنتكم بـ **لا إله إلا الله**، الحكم لله، العبادة لله، ثلاث عشرة سنة في مكة وهو يحارب من أجل **لا إله إلا الله** ما تخلى عنها صلى الله عليه وسلم، ما قال دعونا الآن نترك العقيدة **لا إله إلا الله** قليلاً ونتجه لنعلمكم الصدق والأمانة والتواضع والمحبة فحسب، أنا جنتكم بـ **لا إله إلا الله**، ينبغي حتى تدخل في الدين أن تعلن أن المرجعية، أن الحكم، أن العبودية خالصة لوجه الله تعالى فقط، إذا علمت ذلك جاءت الأحكام الشرعية بعد ذلك متسلسلة: الطلاق والزواج والصدق والأمانة والأخلاق كلها على مرتبة عالية من الأهمية، لكن الأساس في البناء العقدي، ثلاث عشرة سنة في مكة كان الأساس فيها إعلان العبودية الخالصة لله تعالى، يعني المرجعية، يعني بناء المرجعية، يعني لا أصنامكم مرجع ولا عاداتكم مرجع، وهم كانوا يقولون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَلْ قَالُوا إِنَّمَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ (22)

(سورة الزخرف)

يريدون العادات أن تكون مرجعاً لهم، وكان بعضهم يذهب إلى أصنامهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ** مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ** إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)**

(سورة الزمر)

نعتقد بوجود الإله، لكن الأصنام هي التي تقربنا، فكان عندهم الكثير من الأفكار الضالة المنحرفة، فجاءهم صلى الله عليه وسلم بفكرة تخالف كل معتقداتهم وكل موروثاتهم، وجاءهم **بلا إله إلا الله**، فمتى آمنوا بها، قال لهم:

{ ** قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِحُوا** ** وَتَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبَ ، وَتَذِلَّ لَكُمْ الْعَجَمُ** }

(شعيب الأرنؤوط وهو ضعيف)

أعطاهم البعد الذي يريدونه، الفوائد الدنيوية، وأعطاهم الأبعاد الأخروية العظيمة:

{ ** من قال : لا إله إلا الله** ** صادقاً من قلبه ،** ** دخل**

** الجنة** }

(ابن عبد البر)

لكن ما تنازل عن التوحيد، وهم كان جلُّ أمرهم أن يزيحوه عن هذا الأمر، تريد ملكاً نقاسمك، تريد زوجة نزوجك أجمل نساءنا، اطلب ما تشاء من الدنيا، لكن قضية أن تعبدنا لله تعالى إذاً ستلغي الأصنام الذين تعلقنا بها، فالذين تعلقوا بها مصلحة سيفقدون دخلهم من وراء ذلك وهم أكثر الناس تعنتاً في وقتها، والذين تعنتوا بها آباؤنا أيضاً كانوا لا يستهان بعددهم لأن الإنسان أسير العوائد التي تربي عليها، والذين تعنتوا وتمسكوا بها تقليداً أيضاً عددهم كبير بالعواطف، وهذه آلهتنا ودرجنا عليها، أتريدنا أن نترك ما كان يعبد آباؤنا! إذا السور المكية: عقيدة **لا إله إلا الله**، كلها، كل السور المكية تبنى **لا إله إلا الله** وكذلك المدينة، لكن المدينة فيها تفصيل، فيها أحكام، فيها افعول ولا تفعل، أما المكية فكلها لبناء **لا إله إلا الله**.

سورة الأنعام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)

(سورة الأنعام)

الْحَمْدُ لِلَّهِ هذه ال الجنس أي الحمد كله لله، يعني يوجد كلمة يستفاد من ال الجنس وكأن القول الحمد كله لله، لا ينصرف إلا لله تعالى.

كلنا فطرننا على أننا إذا تلقينا معروفاً أن نشكر الذي أعطانا، فلو جئت إلى بيتك فدخلت فوجدت المائدة قد ملئت بالطعام، وأنت ما أتيت بالمواد الأولية، فعلمت أن هناك من طبخ لكم اليوم من الجيران، من الأهل، فقبل أن تمد يدك إلى طبق الطعام تسأل زوجتك من أين هذا الطعام؟ لأنك فطرت أنك تريد أن تفتح الهاتف وتقول لمن صنع الطعام لك الشكر على ذلك، شكراً، يمتلئ قلبك بالامتنان له، القرآن الآن يوجهك إلى أين تصرف الحمد في مكانه.

السور التي بدأت بالحمد:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ خمس سور في كتاب الله تعالى فُتحت بالحمد لله:

الفاتحة: تحمده على نعمة الربوبية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ **"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"** (2)

(سورة الفاتحة)

تشمل كل شيء رب العالمين، كل الحمد **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**.

الأنعام: تحمده على نعمة الكون المحسوس المادي: السماوات والأرض والظلمات والنور.

الكهف: تحمده على نعمة المنهج:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1)

(سورة الكهف)

والمنهج أهم من الخلق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)

(سورة الرحمن)

هو خلق الإنسان ثم علمه القرآن، لكن تعليم القرآن أهم من الخلق، لو خلقه من غير أن يعلمه فلا فائدة من خلقه فقدم الأهم على المهم.

وسورة سبأ وسورة فاطر:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (1)

(سورة فاطر)

هذا فيه نوع من الغيب، كون لكن غير محسوس، غير مرئي لك لكنه موجود، الملائكة.

فهي خمس سور بدأت ب الحمد لله، هذه تحمد الله تعالى على نعمة الخلق، خلق السماوات والأرض.

السماوات والأرض:

وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ لَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ، وَكَانَ فِيهَا بَيْنَ النَّاسِ الْمُجُوسِ، الصَّابِنَةِ، وَعِنْدَنَا النَّصَارَى وَعِنْدَنَا الْمُشْرِكُونَ.

المشركون: كانوا يعبدون الأصنام.

والنصارى: كانوا يؤلهون عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

والصابئة: كانوا يعبدون ما في السماء: الكواكب والنجوم والأجرام السماوية.

والمجوس: كان عندهم النار، فإنه الخير عندهم النور، وإله البشر عندهم الظلام.

هنا يوجد تعريض لكل هذه العبادات المتهافنة **الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** فما تعبدونه في السماء أو في الأرض أيها المشركون وأيها الصابئة، وما تعبدونه أيها المجوس من الظلمات والنور كله من خلق الله تعالى.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ غالباً ما يكون في القرآن السماوات بالجمع والأرض بالمفرد تعبيراً عن اتساع السماوات وما فيها لا يعلمه إلا الله، وعن ضيق الأرض، فما الأرض في السماوات إلا ذرة في صحراء، السماوات والأرض.



النور مفرد والظلمات جمع

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أيضاً ظلمات تأتي بالجمع دائماً، لم يأت في القرآن ظلمة، ولم يأت في القرآن أنوار، دائماً النور مفرد والظلمات جمع، وفي هذه إشارة إلى أن طرق الضلال كثيرة بعدد ما في الأرض من ظلمات بينما طريق النور واحد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ
وَصَاحِبَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)

(سورة الأنعام)

وابتدأ بالظلمات ثم بالنور لأن الأصل هو الظلمة ثم أثار الله تعالى الكون بنوره جل جلاله.

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ﴾ خلق وجعل: الخلق للذوات غالباً، الخلق في القرآن للذوات، والجعل للأعراض، الذات هو أنت، العَرَضُ: مثلاً أن الله تعالى جعل لك شعراً، خلقك ثم جعل لك شيئاً، فما يعرض للإنسان يسمى أعراضاً، والأصل هو الذات، فالله تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)

(سورة الروم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۚ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلٌ
خَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لَبِئْسَ صَالِحًا لَتَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189)

(سورة الأعراف)

فالخلق للذوات، والجعل للأعراض، فالجعل بعد الخلق، الخلق أولاً من عدم، ثم الجعل عرضٌ يعرض للذات الأصلية.

معنى العدل في الآية:

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ثم حرف عطف للترتيب على التراخي، إذا قلت: جاء أحمد فسعيد: يعني دخل أحمد ودخل سعيد بعده فوراً، وإذا قلت: جاء أحمد وسعيد: لمطلق الجمع، وإذا قلت دخل أحمد ثم سعيد: فكان هناك تأخر بين قدوم أحمد وسعيد، فثم للترتيب على التراخي، هنا ليس المقصود التراخي الزمني، وإنما التراخي الرتبي، في المنزلة، يعني أين فعلهم من خلق السماوات والأرض؟ بُعد كثيراً فعلهم عن خلق السماوات والأرض، هذا يسمونه التراخي الرتبي، المرتبة متعددة وليس الزمن ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني بعد كل هذا ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ برهم متعلقة بـ يعدلون، ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعدلون برهم، يعني يُسَوِّون برهم غيره، العدل هو المساواة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَفَّةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴿ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُمْ صِيَامًا ﴿ لَيْذُوقُوا وَتَالِ اللَّهُ عَمَّا سَلَفُوا ﴿ وَمَنْ عَادَ قَبِيتَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿ (95)

(سورة المائدة)

يعني ما يساويه من الصيام ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكُمْ صِيَامًا﴾ فالعدل هو المساوي، ومنه العدل بين الناس، وهو الذي يحمل في بعض معانيه المساواة وإن كان العدل مرتبة فوق المساواة فليست كل مساواة عدلاً لكن العدل هو المساواة.

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي يعدلون برهم غيره، بعد كل هذا الخلق العظيم والجعل العظيم للظلمات والنور تجد من الكافرين أنهم يسوون الله بغيره في العبادة، فيتجهون إلى أصنامهم كما يتجهون إلى خالقهم، أو يجعلون أصنامهم ندّاً لخالقهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿ (2)

(سورة الأنعام)



الأصل هو الماء والتراب

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ وورد من ماء، وورد من تراب، هذا الخلق الأول خلق آدم عليه السلام، نحن كلنا مخلوقون من نطفة من ماء مهين ولكننا في أصل الخلق لأننا تناسلنا من آدم فيصدق أن يقال إنا خلقتنا من طين لأن أبانا خلق من طين، فالطين هو إضافة الطين إلى التراب، فهي مراحل خلقية، فمرة يقول من ماء ومن تراب ومن طين، فهي متكاملة وليست متناقضة هذه المراحل: صلصال، حمأ مسنون، كلها مراحل الخلق، الأصل الماء والتراب، طين، صلصال كالفخار، حمأ مسنون، فكله بالتتالي، خلق آدم عليه السلام، ونحن هنا أمام غيب لا نعلم منه إلا بمقدار ما يطلعنا الله تعالى عليه.

﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أي تم أجلاً، يعني كل إنسان له أجل، فالإنسان الذي يموت في 77 هذا أجله، والذي يموت في 60 هذا أجله ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ هذا أجل البعث، الأجل الثاني، كل إنسان منا له أجلان: أجل ينتقل به من الحياة إلى البرزخ، وأجل ينتقل به من البرزخ إلى البعث، فهو أجل أول وأجل ثان، فقال: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ الأجل الأول لا نعلمه لكن لما أعاد الحياة يعلمه الناس، فتقول له كم عاش والدك؟ فتقول له بالصبط 77 سنة و3 شهور و4 أيام وإن أردت يقول لك بالساعة والثانية لأنه عرف الأجل، هذا الأجل قد يكون مسمى عند بعض الناس بعد حصوله، فهو كان غيباً ثم نقله الله تعالى إلى الشهادة، أما الثاني قال: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ هذا لن يعلمه أحد ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿مُسَمًّى﴾ أي له وقت معلوم سماه الله تعالى ﴿عِنْدَهُ﴾

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ هذه ثم ك ثم الماضية لبيان التراخي الرتبي بين هذا وذاك، فأين الثرى من الثريا! ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ بعد كل هذه البيئات ﴿تَمْتَرُونَ﴾ ما زلتم تشكون في صدق هذه الرسالة.

آية في التوحيد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3)

(سورة الأنعام)



الله تعالى خالق المكان وخالق الزمان

هذه آية في التوحيد ليس المراد منها المكانية، فالله تعالى خالق المكان وخالق الزمان، فلا يُنسب له مكان، لكن جل جلاله في السماوات وفي الأرض هو إله جل جلاله يعني حكمه لا يتخيل إنسان أن الله له حكم في السماء، أما في الأرض فالحكم لهذه الدولة القوية أو لتلك، فقال:

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ أي حكم الله تعالى نافذ في السماوات وفي الأرض.

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ وقد السر لأنه الأخرى، فالجهر معلوم يعلمه الناس، فمن باب أولى أن يعلمه خالق الناس، لكن السر لا يعلمه الناس إنما يعلمه رب الناس جل جلاله، والمؤمن إذا قرأ ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ أدب نفسه على الأيسر إلا ما فيه الخير، وإن كان الإنسان لا يحاسب على سره، لكنه يؤدب نفسه أن تكون علانيته كسريره.

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ والكسب هنا: كل ما يقوله أو يفعله الإنسان، حتى القول كسب، والأولاد كسب: خير كسب الرجل ولده، فكل ما تكسبه من ولد أو زوجة أو قول أو عمل خير أو شر، فهو في علم الله تعالى.

آيات الله كثيرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4)

(سورة الأنعام)

الآيات كثيرة سواء ما يأتيها من آيات الكون التي تدل على وجود الله ووجدانيته وكماله، أو ما يأتيها من آيات القرآن، أو ما سيحدثنا الله تعالى عن آيات في أمم سابقة غابرة قد أهلكتها الله، كلها آيات، أي علامات دالة على وجود الله.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ وأعرض الإنسان عن الشيء: أي أدار وجهه له ولم يعره اهتمامه، قال:

الإعراض والتكذيب بالحق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَتْبَاءُ مَا كَانُوا يِهِنْسَهُرُونَ (5)

(سورة الأنعام)

هذه الفاء ذكرتها سابقاً، يسميها اللغويون: الفاء الفصيحة التي تخفي شيئاً قبلها وكأنها فصيحة تُفصح عن شيء مخفي، فقال تعالى: **إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** فيسبب هذا الإعراف قد كذبوا بالحق، يعني بإعراضهم وبسبب إعراضهم كذبوا بالحق.



مراحل ثلاثة أعرض، كذب، استهزأ

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ قَسُوفَ بَأْيَبِهِمْ أَنْبَاءَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ هي مراحل ثلاثة: أعرض، كذب، استهزأ، قد يُعرض الإنسان عن شيء دون أن يكذب به، يقول لك: أنا لا يعنيني هذا الأمر، وقد يعرض عنه إباء وتكديباً، يعني أنا لا أفتنع بهذه الغيبات أبداً، وقد يزيد على ذلك والعباد بالله استهزاء، فيقول: ما هذا التخلف وتلك الرجعية، فهنا أعرض وكذب واستهزأ، وهذا ما فعله كفار قريش.

قَسُوفَ بَأْيَبِهِمْ أَنْبَاءَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أي في المستقبل، ما معنى الأنباء؟ يعني الله تعالى قال: من أطاع له الجنة ومن عصى فله النار، في الدنيا الكفار سيذيقهم الله تعالى الهوان في معاركهم مع المسلمين، وفي الآخرة هناك عقوبة، هم كذبوا بهذا الأمر سيأتيهم نبؤه، يعني سوف ينتقل من حالة الخبر الذي يمكن أن يكذب إلى حالة الشهود الذي لا يمكن أن يكذب، فالإنسان إذا قلت له: إذا سرت من هذا المكان الأرض طربه و يوجد حفرة مخبأة ستسقط في الحفرة، فقال لك: اتركني وشأني أنت خائف وجبان واستهزأ بك ومضى، تقول سوف يأتيه نيا ما كان به يستهزئ، بعد خمس خطوات سقط بالحفرة، تقول: صدقت؟ طبعاً صدق، انتهى، جاء النبا.

سيدنا نوح عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَضَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ
مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ (38)

(سورة هود)

هي مسألة وقت، فلما صار الطوفان بلحظة واحدة أيقنوا أنّ ما سخروا به واستهزؤوا به كان حقاً لكن هم كانوا الجاهلين، لكن لم يفهم شيء بعد ذلك، انتهى الوقت، فات الأوان. طالب دخل للامتحان وكان مستهزئاً والامتحان سهل وأنا فهم جيداً بالرياضيات، وأستطيع أن أجيب بدقائق، تفاجأ بصعوبة الأسئلة وهو غير محضر، فما أجاب شيئاً انتهى الامتحان وشحبت الورقة وأعطوه الإجابات مكتوبة أمسك الإجابات وعرفها، ولكن ورقة الامتحان سُحبت، فأتاك نيا ما كنت به تستهزئ لكن بعد فوات الأوان، **قَسُوفَ بَأْيَبِهِمْ أَنْبَاءَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**.

العبرة من الأمم السابقة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا
السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (6)**

(سورة الأنعام)



القرن هو مئة سنة

وهذه رأى هنا إما أنها قلبية أو بصرية، قلبية: **﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾** كفار قريش بعضهم ربما لم يغادر مكة أبداً، فما رأى أماكن مصارع عاد قوم هود، ولا نمود قوم صالح، لكن تواترت الأنباء في ذلك الزمن أن كثيراً منهم في رحلة الشتاء والصيف رأوا مصارع القوم وعادوا وأخبروا بها، فإذا أخذناها على محمل الرؤية الحقيقية فقد حصلت، أراهم الله الآيات وأبقاها شواهد، وإذا حملنا الأمر على الرؤية القلبية فيصح **﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾** بأبصارهم أو بقلوبهم بما وصلهم من الأنباء **﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾** أهلكتناهم؛ أي أفنيانهم، **﴿مِنْ قَرْنٍ﴾** القرن: هو الجيل، الآن نحن في الاصطلاح: القرن هو مئة سنة، لكن القرن هنا هو جيل، فنوح عليه السلام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ قَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا **﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾** (14)

(سورة العنكبوت)

هذه الـ 950 سنة هذه قرن، كلها تسمى قرناً، يعني جيل كامل.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّانُهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ مكانهم؛ أي جعلنا لهم فيها مكاناً عزيزاً مرموقاً، صار لهم دولة، وصار لهم كيان، وصاروا يأمرون فيطاعون، هذا يقال مُمكن له، مُمكن له، ونحن_المسلمين_ موعودون بالتمكين في الأرض إن أطلعنا الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ لَآتُوا الْأَرْضَ وَآتُوا الرَّكَّاتَ﴾ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ **﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾** (41)

(سورة الحج)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا **﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** (55)

(سورة النور)

فنحن موعودون بالتمكين إن أطلعنا الله تعالى، وأمورون بالطاعة، لكننا لسنا مأمورين بالتمكين، لأن التمكين هو نتيجة، شيء لا نستطيع أن نفعله، نستطيع أن نفعل أسبابه، لذلك لا تجد في القرآن آية تقول: يا أيها الذين آمنوا آمنوا لأنفسكم في الأرض، لا، أطيعوا الله هو يمكنكم، أطيعوا الله، أقيموا شرعه، أنصفوا المظلوم، يمكنكم في الأرض، فاليوم المسلمون الذين يقولون: أين نحن وابن التمكين في الأرض؟ نقول له باختصار: أنت ما قدمت أسبابه، الأمة المسلمة منذ أكثر من مئة عام لم تقدم أسباب التمكين، والتمكين نتيجة، كأن يقول لك إنسان: لماذا لم ياتني ولد حتى الآن؟ فنقول له: هل تزوجت؟ فيقول: لا، وكيف سيأتيك الولد وأنت لم تتزوج، أنت مأمور بالزواج فيأتيك الولد إن تزوجت، لكنك لا يمكن أن يأتاك الولد وأنت لم تتزوج، أتريد معجزة؟ هذه لم تحصل إلا مرة واحدة، فمرم عليها السلام حملت من غير أب، هذه معجزة، لكن أنت تحتاج إلى أن تتخذ السبب.

فقال: **مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ** يعني أين تمكينكم من تمكينهم؟ كانوا أكثر منكم تمكيناً، قريش ما المُمكِّن لها في الأرض، لولا أن الله تعالى جعل الكعبة عندها لَمَا كان لها شأن بين الأمم كلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا وَسَخَطُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَقْيَالًا طَائِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيُنْعَمُهُ
اللَّهُ يَكْفُرُونَ (67)

(سورة العنكبوت)

لكن هؤلاء مَكَّن لهم في الأرض وأصبحوا ممالك عاد وتمدود، فقال:

مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَارًا مبالغة في أن السماء تدر عليهم، هنا مجاز بمعنى السحاب يدر فأطلق على المكان وهو السماء **مِذْرَارًا** **وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ** هذا كناية على وفرة المياه وجمال المكان، من تحتهم تجري، منابعها بعيدة وهي تجري من تحتهم. **فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ** أي بسبب ذنوبهم، كانوا مُمكِّنين، وكانت لهم سطوة، وكانت لهم قوة ولكن ذنوبهم حالت بينهم وبين استمرار هذا التمكين، فأهلكهم الله تعالى بسبب.. هذه بآء السبب، بذنوبهم. **وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ** أي جيلاً آخر، وأنشأنا أي من العدم، الإنشاء من العدم.

المعجزة ليست شرطاً للهداية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)

(سورة الأنعام)

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ معجزة ينزل كتاب من السماء، القِرطاس: هو الصحيفة التي يُكْتَب بها من ورق التبردة أو الرق بيسمونه، يكتب بها هذا هو القِرطاس، فلو نزل مكتوباً من السماء مباشرة.



اللمس يشترك به الجميع **فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ** اللمس يشترك به الجميع، حتى الذي لا يبصر، في المصعد يضعون له إشارات، يضع باللمس يكتشف الطابق الثالث يضغط الزر، فجاء باللمس، ليس رأوه بأعينهم، لمسوه بأيديهم لأن اللمس يشترك به الجميع، وما قال فلمسوه إنما قال بأيديهم حتى لا يتوهم أن هذا اللمس مجاز، هناك ملامسة أحياناً مجاز، لمسيته يعني بقلبي مثلاً. يعني شعرت به، لا، قال: **فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ** يعني وضع يده هكذا قِرطاس من السماء الله أكبر، كلام مكتوب نزل من السماء مباشرة، معجزة كبيرة جداً، ما الجواب؟ **لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** الله يعلم طويتهم، ويعلم أن هناك موانع من المصالح والأموال تحول بينهم وبين الإيمان، فليست القضية في أن يأتي شيء معجز، القضية أنهم لا يريدون الإيمان بالغيب، فحتى لو جاءهم الشهادة فلن يؤمنوا، ثم يقول تعالى:

إذا نزلت الآية بعدها هلاك وعذاب، ابقَ مع عالم الغيب والإيمان بالغيب، لا تطلب شهوداً فإنك لا تقوى عليه، لأن الذي يريد أن يؤمن فكلُّ شيء في الكون يدلُّه على الله، والذي لا يريد أن يؤمن لن ينفعه ولو رأى المجرات وهي تسبح في الكون، ألا يوجد الآن في ناسا من يجلسون ويتواجهون مع عظمة الله وجهاً لوجه؟ ولم تنفعهم الآية، فهل سينفعهم نزول ملك؟ سيقولون طواهر كونية عجيبة، وطواهر مدهشة، وأمور لا تُفسَّر في الكون ولن يفهموها على أنها معجزة أصلاً.

﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ أي ثم لا يُمهلون، يؤخذون بالعذاب فوراً، فليس من مصلحتهم أصلاً أن ينزل الملك.

والحمد لله رب العالمين.

نور الدين الاسلامي